الهجرة الرابعة

على الرغم من هذه النتائج، العسكرية والسياسية، التي ترتبت على الغزو الاسرائيلي، لا يمكن القول أن الفشل فقط كان من نصيب اسرائيل نتيجة لعملياتها العسكرية في لبنان. فقد نجح العدو الصهيوني، في نهاية الأمر، في اخراج المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين عنوة من تلك المنطقة من لبنان الممتدة من حدوده مع اسرائيل حتى جنوب بيروت، وأبعد بذلك مستوطنيه عن خطر التعرض للقصف، كما كانت عليه الحال سابقاً. ثم استطاع بعد ذلك حمل منظمة التحرير الفلسطينية، بمعظم أجهزتها العسكرية والمدنية والادارية على الرحيل عن بيروت والانتشار في دول عربية مختلفة ومتباعدة في عملية، وان كانت منظمة وسميت «انسحاباً مشرفاً»، يمكن اعتبارها بمثابة هجرة رابعة، بعد «هجرات» السنوات ١٩٤٨ من فلسطين و١٩٦٧ من الضفة الغربية وقطاع غزة و١٩٧٠ من الأردن.

ان المرء لا يشعر بالحزن والأسى العميقين يعصران قلبه نتيجة لانتقال أجهزة م.ت.ف. من بيروت، اذ يشك جدياً فيما اذا كان هذا البناء التنظيمي العجيب، الغريب في بعض نواحيه، والذي تكوّن في ظروف استثنائية لا علاقة لها أحياناً بالقضية الفلسطينية، سيقرب الفلسطينيين من تحقيق أهدافهم، خصوصاً بعد أن راحت تظهر عليه علامات النمو غير الطبيعي، كمقدمة لظواهر قد تكون سرطانية. غير أنه على الرغم من ذلك تبقى الحقيقة الواضحة، على ما يترتب على ذلك من نتائج على أصعدة مختلفة، وهي أن النشاط الفلسطيني الذي انطلق من بيروت، في ظروف مريحة نسبياً، خلال ما يزيد على عقد من الزمن، حقق خلاله العديد من الانجازات والمكاسب على صعيد بعث القضية الفلسطينية وتثبيت دعائمها على أكثر من مدى، وجد نفسه مضطراً، خلال فترة قصيرة، للانتقال الى أماكن أخرى. ومع هذا الانتقال تبدأ، كما هو واضح، مرحلة جديدة في تاريخ النضال الفلسطيني والقضية الفلسطينية، لها منطلقاتها وبديهياتها الخاصة بها، على أرضية تجارب الماضي من جهة وتحديات المستقبل المتوقعة من جهة أخرى؛ وهو ما يلزم باعادة النظر في العديد مما اعتبر مسلماً به حتى الآن.

□ ولعل أول النواحي التي ينبغي اعادة النظر بها هي، بحكم الضرورة، فلسطينية بحتة، بأبعادها المختلفة. فتبشتت أجهزة منظمة التحرير الفلسطينية و«توزيعها» على دول مختلفة يلزم اعادة تنظيمها وربطها بصورة فعالة ببعضها البعض، وليس ذلك بالعملية الصعبة، على كل حال، في ضوء الامكانات التقنية المختلفة المتوفرة. ولكن الأهم من ذلك هو وضع أسس وقواعد جديدة لتنظيم الشعب الفلسطيني عامة، بما يساعده على النضال من أجل أهدافه، في ضوء تجارب الماضي من جهة، ومهام المستقبل من جهة أخرى.

لقد قادت منظمة التحرير الفلسطينية نضال الشعب الفلسطيني منذ أواخر الستينات، وأصبحت، بعد فترة قصيرة من تسلمها هذه المهام، ممثله المعتمد، المعترف به من قبل عشرات الدول. الا أن المنظمة لم تستنتج النتائج المترتبة على هذه النقلة النوعية، ولم تجر أي تغيير على تركيبها التنظيمي، فبقيت عملياً عبارة عن اطار يضم التنظيمات الفلسطينية الفدائية وبعض المستقلين، واكتفت باقامة علاقات فضفاضة، شبه عاطفية، بل